فكرة الكتاب تقوم حول شرح العادات السبع للناس الأكثر فاعلية بشرح مبسط مع عدة مواضيع مهمة يسردها الكاتب في كل عادة من العادات.

❖ كن مبادرا

ينقسم الناس إلى أشخاص مبادرين وإلى أشخاص سلبيين، لكن هذا الانقسام لا يعني بالضرورة انحصار الناس إلى مبادرين وسلبيين فقط، وإنما الأمر يشبه طيفا من الألوان، حيث قد يكون فيها الناس مختلفين في مستوى المبادرة وفي مستوى السلبية أيضا. مثلا قد تكون أقل مبادرة وتميل إلى أن تكون سلبي، أو أن تكون سلبي لكن تميل لأن تصبح مبادرا. الشخص المبادر هو شخص يؤمن بأن أفعاله يمكن أن تأثر على واقعه، كما أنه يتحمل مسؤولية أفعاله وقراراته، ويسعى إلى حل المشكلات حتى لو لم يكن السبب الرئيسي في حدوثها. بينما الشخص السلبي هو شخص لا يؤمن بأن أفعاله ستأثر على واقعه، كما أنه لا يتحمل مسؤولية أفعاله وقراراته، ولا يسعى إلى حل المشكلات، بل تجده يُحمّل الناس مسؤولية هذه المشكلات، ودائما ما يلوم الآخرين على فشله وسوء حظه. كي تكون شخص فعال ... ابدأ بأول عادة وكن مبادرا، وذلك بأن تتحمل مسؤولية نفسك أولا، وأن تؤمن أن أفعالك ستأثر على الواقع وستؤتي ثمارها بنتائج جيدة.

❖ ابدأ والنهاية في ذهنك

يعمل الناس أحيانا جاهدين للوصول إلى سلم النجاح، ويكتشفون في الأخير أن هذا السلم كان خاطئا منذ البداية. يقول الكاتب أن على الشخص أن يعلم منذ البداية الطريق الذي سيسلكه للنجاح، وأن يدرك أن نهاية هذا الطريق ستكون نجاحه، ولتحقيق هذه العادة واكتسابها، يتوجب على الشخص تحديد أهدافه على المدى القريب، ثم أهدافه على المدى البعيد.

الأهداف على المدى القريب: والمقصود بها معرفة الأهداف وراء قيامك بعمل ما، وتحديد هذه الأهداف قبل البدأ في هذا العمل. كما يجب أيضا أن تسأل نفسك "ما الهدف من قيامي بهذا العمل؟" و"هل سأحقق نتائج مرغوبة جراء قيامي بهذا العمل؟". إذا كان الجواب على السؤال الأخير بلا فحينها يجب أن تتوقف عن قيامك بهذا العمل وأن تبدأ بتحقيق ما ترغب في الحصول عليه.

الأهداف على المدى البعيد: والمقصود بها تحديد الأهداف التي ترغب في الوصول إليها في السنوات الأخيرة من حياتك، ويقصد الكاتب هنا بالأشياء التي ستتركها قبل رحيلك عن هذا العالم، هل ستكون النتائج المرغوبة مفيدة للآخرين؟ هل ستنتفع أسرتك من الأشياء التي تركتها خلفك؟ هل حققت تغييرا في هذا العالم بأفعالك الفعالة؟ وغيرها من الأمور. تساعدك تحديد الأهداف على معرفة المسار الذي ستمشي من خلاله للوصول إلى النتائج المرغوبة، فمعرفة الأهداف ستجعلك راغبا إما في تحقيقها، أو في تغييرها لتتناسب مع رغباتك.

❖ ترتيب الأولويات

كونك شخص مبادر وتسعى إلى تحقيق الأهداف المحددة لا يعني أنك شخص فعال، فرغم قيامك بالعادتين 1 و 2، إلا أنك ستواجه العديد من العقبات في مسار حياتك، بما فيها المشاكل وظغوطات الحياة، ودائما ما ستكون المسؤوليات أكبر بما كنت تعتقد. ولهذا يأتي دور العادة الثالثة من أجل مساعدتك على ترتيب الأولويات حسب أهميتها وعجلها، فترتيب الأولويات سيجعلك مركزا على إنهاء أكبر قدر من المهام المهمة، وبالتالي إرجاع سكة مسار النجاح إلى طريقها الصحيح. يمنح الشخص الفعال الأولوية في بذل جهده ووقته للمهام المهمة التي تحقق أكبر قدر من النتائج، ثم ينتقبل بعد ذلك إلى القيام بالمهام الأخرى الغير مهمة والغير عاجلة.
يتوجب الإشارة هنا أن القدرة على تحديد الأولويات لا ترتكز في القدرة على إدارة الوقت، بل في القدرة على إدارة النفس، ويقصد بها قيام الشخص بالمهام المهمة حتى لو كانت صعبة على النفس، إذ أن القيام بها ضروري ويحتاج قدرة على إدارة النفس أكثر من إدارة الوقت. من أجل تقسيم الأولويات، يحدد لنا الكاتب أربع تصنيفات للقيام بذلك:

- ✓ مهام مهمة وعاجلة: مهام العمل - إلتزامات ضرورية - حل الأزمات العاجلة.
- ✓ مهام مهمة وغير عاجلة: تعلم مهارات جديدة - قراءة كتب مفيدة - التخطيط للمستقبل.
- ✓ مهام غير مهمة وعاجلة: متابعة مسلسل أو فيلم - متابعة مباريات الكرة.
- ✓ مهام غير مهمة وغير عاجلة: تصفح مواقع التواصل الاجتماعي - مشاهدة فيديوهات غير مفيدة.

تتمحور مشكلتنا أننا نميل إلى القيام بالمهام العاجلة أولا حتى لو كانت هذه المهام غير مهمة، يقول الكاتب أن أول تصنيف يجب أن تركز عليه كي تصبح شخص فعال هو التصنيف الأول "مهام مهمة وعاجلة"، لأن التغاضي عن هذه المهام قد يؤدي إلى أزمات قاسية. أما التصنيف الثاني الذي يجب أن تركز عليه هو "مهام مهمة وغير عاجلة" لأن قيامك بهذه المهام سيجعل منك شخصا فعالا في المستقبل وستؤتي هذه المهام بثمار النجاح لاحقا. أما باقي التصنيفات، فيستحسن تركها للأخير لأنها مهام غير مهمة، ولن تنفعك في شيء.

❖ عقلية المكسب المشترك

طبيعتنا كبشر أننا نحتاج الآخر للعيش، فنحن كائن اجتماعي، ولم نكن لنصل إلى ما نحن عليه الآن لولا تعاوننا مع بعضنا البعض، فالإنسان البدائي مثلا لن يكون باستطاعته الصيد لو كان يصطاد بنفسه، والأمر نفسه في حالة الدفاع عن النفس من الكائنات المفترسة أو من المناخات القاسية ... الخ. إن أمر التعاون له دور مهم في عصرنا الحالي أيضا، فحتى الشركات الكبرى التي تنتج الهواتف الذكية مثلا، تعتمد هي نفسها على أجهزة شركات أخرى من أجل إنتاج هذا الهاتف. ربما قد تحتاج إلى شركة من أجل صناعة البطارية، وشركة أخرى من أجل صناعة الزجاج الخاص بالهاتف ... وغيرها. يعني بصيغة أخرى أن التعاون هو أمر لا بد منه من أجل الحصول على نتائج مرغوبة، فالشركات التي لا تعتمد على شركات أخرى من أجل الوصول إلى منتوج رائع، هي شركات مهددة بالفشل.

❖ اسعى لفهمهم قبل أن يفهموك

نعاني أحيانا من سوء فهم الآخر أو العكس، سواء في النقاشات أو مجرد دردشة، ويكون السبب الرئيسي هو اختلاف في الرأي، لكن السبب الأهم من ذلك هو عدم فهمنا للآخر، وفهم الدوافع أو الأفكار التي جعلته يعبر عن رأيه المختلف. يقول الكاتب أن فهم الآخر يجب أن يسبق رغبتنا في أن يفهمنا الآخر. بصيغة أخرى: يجب أن نستمع جيدا لما يقوله الآخر وأن نفهم جيدا الأفكار التي يطرحها، كي ندركها جيدا. إن فهم الآخر أولا له فائدتين مهمتين:

التأكد من أن رأيك صحيح. إعطاء الفرصة لفهم الآخر قد يكشف أن رأيك خاطئ، وبالتالي فرصة جيدة لتصحيحه.

المساعدة على إقناع الآخر برأيك بعد المعرفة الجيدة لرأيه الخاص.

❖ التعاون الإبداعي

ستساعدك العادتين 4 و 5 على اكتساب هذه العادة، لكن يجب الحذر فيما يتعلق بالتعوان، لأن الأمر لا ينحصر فقط على ذلك، فالتعاون يجب أن يكون إبداعي ومدروسا بعناية. فكما سبق وذكرنا عن مثال تعاون الشركات مع بعضها البعض من أجل إنتاج منتوج معين، لو أن شركة واحدة فشلت في إنتاج أفضل منتوج (بطارية مثلا) فسيكون المنتوج النهائي غير ناجح (هاتف مثلا). يرتكز التعاون الإبداعي أيضا على فكرة تقسيم العائدات بين الأطراف المشتركة وكذا تقسيم المسؤوليات وتحديدها، فاحذر من أي تعاون كان، ولا تتعاون إلا مع الأشخاص الذين ترى أنهم سيحققون النتيجة الأخيرة. وتذكر جيدا أن عدم التعاون أفضل بكثير من التعاون السيء.

❖ اشحذ المنشار

تخيل أنك تقضي ساعات من أجل قطع شجرة بمنشار غير حاد، بينما يقوم شخص آخر بشحذ المنشار في كل مرة وزيادة حدته. وكنتيجة لهذا العمل، يقضي الشخص الأول ساعات طويلة جدا في قطع شجرة واحدة، بينما الشخص الثاني يقضي فترة أقل بكثير في قطع شجرة واحدة، وقد يقطع المزيد من الأشجار في نفس الوقت الذي يقضيه الشخص الأول في قطع شجرة واحدة. يقصد بشحذ المنشار تطوير وصيانة نفسك بشكل مستمر من أجل الوصول إلى النتيجة المرغوبة بشكل سريع وبدون إجهاد. ولاكتساب هذه العادة، ينصح الكاتب بصيانتك نفسك من الإجهاد المستمر على 4 جوانب من جوانب حياتك:

- ✓ الجانب الجسدي - الجانب الروحي - الجانب الذهني - الجانب الاجتماعي